

دور الأسرة في تربية الطفل واقع ومرتجى

بحث قدم الى ندوة
(واقع وآفاق التربية الاسرية)
التي انعقدت في ليبيا سنة ١٩٩٥

الدكتور رشاش عبد الخالق
كلية التربية الجامعة اللبنانية

دور الأسرة في تربية الطفل
واقع ومرتجى

الدكتور رشاش عبد الخالق
كلية التربية الجامعة اللبنانية

المحتويات

ص

١	١- تحديد وتوضيح
٢	٢- تمهيد
٣	٣- أهمية التربية المنزلية
٤	٤- الخيارات الصعبة
٦	٥- الاشكالية
	أ- الاشكالية الأولى:
٦	إنعدام المنهجية في تربيتنا
	ب- الاشكالية الثانية:
٨	التربية وفق أي مفهوم للتربية
	ج- الاشكالية الثالثة:
٩	مشكلة تربوية أو تخلف تربوي
١١	٦- الخلاصة
١٤	المراجع

دور الأسرة في تربية الطفل

واقع ومرتجى

١- تحديد وتوضيح:

عندما قرأت ورقة محاور هذه الندوة وحددت مساهمتي فيها، لفت نظري العنوان التالي: "دور الأسرة في تنشئة الطفل"، واستخدام كلمة تنشئة جعلني أبدأ بهذا التحديد.

- أنى أميل لاستخدام كلمة التنشئة في المصطلح التربوي الاجتماعي (التنشئة الاجتماعية) وهي برأينا جزء من التربية في العصر الحديث ونستخدمها نحن للدلالة على تلك القولية التي يقوم بها المجتمع تجاه الفرد وفق تقاليده وعاداته وقيمه وتراثه الثقافي، إنها تطبع اجتماعي.

- أما التربية فهي برأينا ذاك العلم الذي يهتم بالنمو الشامل والمنكامل للفرد، جسدياً ونفسياً وعقلياً واجتماعياً.

- ولما كنا نعتبر أن دور الأسرة يتعدى التنشئة وفق المفهوم الذي حددناه، إلى التربية لذا استبدلنا العنوان السابق فأصبح (دور الأسرة في تربية الطفل).

فاقتضى هذا التحديد والتوضيح للأهمية.....

٢- تمهيد:

اختلف الباحثون في تعريف الطفولة وتحديد نسبها. وقد جمع بعضها عبد السلام النوبي في كتابه المدخل لرعاية الطفولة يمكن العودة اليه ونذكر الكتب التربوية ان هذه المرحلة من عمر الانسان لم تلق ما تستحقه من اهتمام الا مطلع هذا القرن.

- وان كان بعض الفلاسفة والعلماء ، قد حاول ملاحظة ابنائهم وتسجيل بعض المعلومات عن تطور نموهم كما فعل العالم (داروين) الذي نشر عام ١٨٧٧م مقال يدور حول ملاحظات سجلها خلال مراقبته لابنه (دودي) ، وكان الفيلسوف (ويليام بريير) في نفس الفترة تقريبا يدون ملاحظاته على ابنه بانتظام ثلاث مرات في اليوم وذلك منذ ولادته حتى سن الثالثة من عمره ونشرها عام ١٨٨١م بكتاب تحت عنوان (نفس الطفل) وكان (لألفرد بينه واختباراته عن الذكاء جهد مميز لقياس ذكاء الأطفال.

- هذه المجهودان وغيرها حفزت كريستمان عام ١٨٩٣م لأن يطلق على ميدان هذه الدراسات مصطلح (peologie) أي علم الطفل الذي برز فيه عدد من الرواد منهم جان بياحيه في سويسرا. وفالون في فرنسا وجيز يل في أمريكا. ويصدر شرعية حقوق الطفل بتاريخ ١٩٥٩/١١/٢٠م بدأت مسيرة الاعتراف بالطفولة وحقوقها منحى جديداً. كان من نتيجته أن أصبح الطفل موضوعاً للدراسة في مختلف سنواته الأولى ، ومن عدة جوانب(١).

- ونخلص إلى القول بأن الطفل أصبح محور التربية الحديثة ، فهو المنطلق وهو المحور، وهو الغاية على حد تعبير جون ديوي في كتابه (التربية والمجتمع).

٣- أهمية التربية المنزلية:

بعد هذه الدراسات ظهر للجميع أهمية مرحلة الطفولة في عمر الإنسان وأهمية دور الأسرة في تربية أطفالها.

وكان بعض التربويين قد أكدوا على أهمية دور الأسرة امثال بستالوتزي، وفريدل، ويرت، وكذلك علماء الاجتماع وعلماء النفس.

فالمنزل هو المؤسسة التربوية الأولى التي تحتضن الفرد طفلاً وياقفاً وشاباً، ويرسي الأسس لتفتح شخصيته، وفيه يتقرر مستقبله.

- والتربية الحديثة تؤكد على أهمية التربية المنزلية في غرس الأسس السليمة، سواء من خلال علاقة أفراد الأسرة بالطفل كأن تكون هذه العلاقة تسلطية أو ديمقراطية أو فوضوية أو اهمالية، أو من خلال علاقة الطفل بالآخرين ، كأن يكون خائفاً أو متردداً ، أو متقلباً أو عدوانياً وفيه يتشرب المفاهيم وقواعد السلوك وفيه يأخذ وحدات القياس التي سيزن بها الأمور ويحكم على ضوئها.
- وفيه يجب أو يكره بعض المبادئ كالحرية والتعاون والنشاط.... الخ.
- ويتفق جميع الباحثين، على ان المنزل هو المكان الافضل لتربية الابناء وان دور الام التربوي هو الدور البارز في حياتها وحياء طفلها.

الخيارات الصعبة:

ونلاحظ أكثر الأمهات الجديديات في وقتنا هذا انها لا تحسن القيام بدورها على الوجه الاكمل تجاه طفلها لو اعتمدت فقط على خبرتها البسيطة ومعلوماتها العامة المستقاة من والدتها أو جاراتها، وان اكثر القواعد التربوية التي تربت عليها او سمعتها ليست ثابتة، و

1- يراجع في ذلك أبحاث ودراسات Smit, Murphy Resenblum, Barnstem, Kessen, StoneBell, Stern, Kennel, Lewis.....

وغيرهم كثيرين

وفي أحسن الاحوال لا تستطيع استخدام هذه المعلومات الا لمواجهة بعض المشكلات الآتية:

كالعناية بنظافة المولود وتقديم وجبات الطعام له وتحديد اوقات نومه وغير ذلك وسرعان ما تكتشف ان الرعاية التي يحتاجها طفلها ليست هذه فقط، بل ستتغير احتياجاته بين شهر وشهر وبين سنة وأخرى ، وستتنوع كذلك لتشمل النواحي الجسدية والنفسية والعقلية والاجتماعية، فالتربية هي الرعاية الشاملة والمتكاملة للفرد.

- فهي امام مخلوق جديد ، اقل ما يقال انه كتلة من القدرات والاستعدادات الكامنة ، تنتظر النمو والنضج لتعبر عن نفسها، ترى ماذا تعرف هي عن هذه القدرات الكامنة؟ وماذا عليها ان تفعل لتساعدها على النمو والنضج والتفتح؟ وكيف تعرف ان معدل النمو هو المعدل المناسب لهذه الفترة او تلك؟ وكيف تعرف حالة الصحة وحالة المرض؟

- وفي مرحلة اخرى كيف تفرق بين ما هو مفيد له وبين ما هو ضار به؟ وأي سلوك يجب ان تشجعه عليه واي سلوك يجب ان تثنيه عنه، واي سلوك يجب ان تتجاهله؟ وكيف تثنيه؟ هل بالمنع أو بالقمع أو بالاقناع؟ وكيف تدرسه على العادات الجيدة، وكيف نحكم ان هذه العادات جيدة وغيرها سيئة.

- نلاحظ من هذه التساؤلات ان التربية لم تعد تلك الخبرة البسيطة التي تلقنها الام لابنتها، بل اصبحت علماً يعلم وخبرة تكتسب ودوراً تعذ له الفتاة اعداداً جيداً وتذكر القول المأثور (إذا أردت ان تربي طفلاً فربي امه قبل عشرين عاماً من ولادته) أو (تربية الطفل تبدأ قبل عشرين عاماً من ولادته).

٥- الاشكالية:

اذا ما تلمسنا الارض تحت اقدامنا، وتمعنا في العناصر الاساسية لمكونات تربيته المنزلية، نعجب لكثرة التناقضات التي تسيطر عليها، انها مزيج غريب عجيب، يتعايش فيها المعاصر مع الحديث، مع القديم مع الفارق في القدم. ومن هذا التعايش يتكون خليط، اقل ما يقال فيه انه بلا لون ولا طعم ولا رائحة، وسنحاول حصر اسباب وجود هذا الخليط المتناقض بثلاث اشكاليات.

أ- الاشكالية الأولى:

انعدام المنهجية الفكرية في تربيتنا، او بالاحرى سيادة الغموض على منهجنا الفكري في ما يخص بناء الانسان ، اللهم الا اذا اعتبرنا غموض المنهج هو ايضاً منهج تربوي.

قلت ان تربيتنا المنزلية خليط من عناصر متناقضة تلقي فيها عناصر المنهج العقلي الذي يبدأ بالكليات وينتقل إلى الجزئيات وعناصر المنهج الواقعي او التجريبي الذي يبدأ بالجزئيات وينتهي بقانون عام وعناصر المنهج التاريخي الذي يعود بالظاهرة الى نشأتها وتطورها ، وعناصر المنهج النقدي الذي يبرز النقاط السلبية والنقاط الايجابية الموضوع، وتباهى بهذا المزج المقصود قائلين: اننا نختار ما يعجبنا وما يتمشى مع واقعنا بحرية، والحقيقة ان في هذا القول الجميل المبني على حرية الاختيار ظاهرياً جاذبية تخفي وراءها تشويش فكري خطير، نلبسه ثوب منهج جديد نسميه (المنهج الانتقائي) الذي يتداعى عند اول صدمة يتعرض لها وتظهر هشاشته عند اول مناقشة موضوعية له.

- ان اختلاط المناهج هذا، ليس بالمر البسيط اذ ينتج عنه اختلاط في المفاهيم واهتزاز في القيم وهذا يعني ان العناصر التي دعمت استقرار الأسرة العربية في الماضي والمتمثلة بوحدة المفاهيم والقيم انتفت الآن فاهتز استقرار الأسرة واصبحت الرؤية امامها غير واضحة ويصعب عليها تبني المفاهيم الجديدة التي تناقض جذورها، أو استبدال علاقات قديمة بأخرى عصرية.

- ان اختلاط المناهج هذا، ليس بالأمر البسيط اذ ينتج عنه اختلاط في المفاهيم واهتزاز في القيم وهذا يعني ان العناصر التي دعمت استقرار الأسرة العربية في الماضي والمتمثلة بوحدة المفاهيم والقيم انتفت الآن فاهتز استقرار الأسرة واصبحت الرؤية امامها غير واضحة ويصعب عليها تبني المفاهيم الجديدة التي تتناقض جذورها، او استبدال علاقات قديمة بأخرى عصرية.

- انها برأينا في مأزق تربوي، ما له الخيار القيمي الثقافي وكأنني بها تطرح الاسئلة التالية:

وفق أي نسق قيمي انشئ اولادي؟ وبالتالي وفق أي ثقافة؟ الخيار ليس نظرياً، بل واقعي، تطبيقي.

- انها تتخبط في حالة اللاقرار، بين القديم والعصري، بين التقليد والتجديد، بين الاقتداء والاجتهاد، بين الثبات والتحول.

ب- الاشكالية الثانية:

تربية الطفل وفق مفهوم التربية: قديماً ام حديثاً؟

ان مفهوم التربية قديماً يستند إلى مفهوم محدد للطبيعة الانسانية الذي يقسم الانسان إلى ثنائية الروح والجسد، ثنائية الخير والشر، ويكون دور التربية هو تنمية الجانب الخير، وتقييد جانب الشر وتجدد في كتب التربية عرض مفصّل لهذا المفهوم...

- اما مفهوم التربية الحديثة، فهو يستند إلى مفهوم آخر للطبيعة الانسانية مضمونه ان الانسان مخلوق متطور يتكون من قدرات، واستعدادات كامنة، تعمل التربية على اكتشافها وتميئتها إلى الحدود القصوى.
- ولكل مفهوم من هذين المفهومين دعائمه واساليبه وادواته واهدافه ، قد يكون الخيار النظري سهل ولكن التربية علم تطبيقي وعليه فالخيار في غاية الصعوبة امام العارفين ، فكيف الحال امام الآخرين؟

ج- الاشكالية الثالثة:

من خلال التدقيق والتحصيص في واقع الأسرة العربية عامة والليبية بشكل خاص لا اجد هناك مشكلة تسمى مشكلة تربية، بل هناك ابعاد من ذلك بكثير، هناك شيء ما، يمكن ان نسميه تخلف تربوي وهناك فرق بين المشكلة والتخلف.
- فالمشكلة التربوية توجد في كل المجتمعات المتقدمة منها والمتخلفة ، انها موقف غامض يشعر بها عدد من الناس، فيسعون لحلها مختارين الادوات والوسائل.

- اما التخلف فهو حالة ضبابية ، او ظلامية ، انه السير وسط ليل دامس السواد، لا فرق بين مبصر وضيرر، الكل يتلمس الطريق تلمساً ، الكل مكبل بسواد الليل، مقيد بسلاسل من القيود، بتراث من التقاليد ، بحبال من الاوهام.
- انها حالة يشعر فيها الفرد انه على خير ما يرام، يرتدي ثوب القناعة وباطنه الكسل، قانع بحاله و متمسك بوضعه، انه لا يشعر بتخلفه.

- ولو افترضنا ان قلة شعرت بالتخلف، لسبب ما نجدها ايضاً تشعر بعجزها عن ايجاد حل.
- التخلف التربوي برأينا ، حالة تسبق المشكلة التربوية بزمن طويل وقد تستمر سنوات او حقبات.
- اما حالة المشكلة فهي حالة متقدمة انها مرحلة الوعي، واذا عم هذا الوعي يسعى اصحابه لايجاد حلول للمشاكل وتكون بعدها نهضة.

- وتستمر المشكلات بل وتكثر ، مع النهضة، وتستمر الحلول وتتنوع.
- ان حالة التخلف هي جمود وحد ادنى من التوتر اما النهضة فهي نشاط دائم وحركة دائمة والفرق بين الاثنين كالفرق بين سكون الجهل وقلق المعرفة، فالوعي الذي لا يرافقه سيرورة وحركة هو استمرار لحالة التخلف، هو وعي متخلف.

٦-الخلاصة:

وخلاصة القول ان الأسرة في مأزق تربوي نتيجة لهذه الاشكاليات الثلاثة :

- ان معلومات الأسرة العربية عامة عن الطفل في الغالب مشوشة، قلقة مضطربة ومنهجها التربوي غامض ومشوش وخيارها القيمي متغير متذبذب، مضطرب، والعلاقة بين الأسرة والطفل تسلطية قمعية... أمام هذه الحقائق كيف تنتظر ان تكون اجيالنا؟ فالارض المتحركة لا تثبت اشجاراً باسقة.
- في ختام هذا البحث المتواضع نرى ان خطوات العلاج تبدأ باعتماد ما يلي:
اولاً: انشاء مركز ابحاث ودراسات الطفولة تخصص لها ميزانية سنوية لا نطمح ان تتجاوز ثمن دبابة حديثة.

ثانياً: إيجاد مراكز لرعاية الأطفال في الأحياء والقرى التي يشرف عليها تربويون وتقنيون لاستغلال وقت الفراغ عند الأطفال وذلك بتنمية مواهبهم وقدراتهم.

ثالثاً: التعاون مع المؤسسات الدولية التي تهتم بالطفولة (اليونيسيف) مثلاً ووضع برامج مشتركة تنفذ في جميع أنحاء البلاد.

رابعاً: توعية الأسرة لدورها التربوي عبر اللقاءات المباشرة وإيجاد برامج متنوعة عبر الإذاعتين المرئية والمسموعة(تلفزيون،راديو).

خامساً: استبدال فلسفة علاقة الطفل بالجامع التي تقوم على ان الجامع مكان للصلاة وحفظ القرآن فقط بعلاقة جديدة تقوم على انه أيضا مكان للنشاطات الاجتماعية والثقافية حتى والترفيهية.

المراجع

- ١- التربية عبر التاريخ، عبدالله عبد الدايم، دار العلم للملايين، بيروت.
- ٢- التربية والمجتمع، جون ديوي،
- ٣- التربية في الامثال الشعبية، رشاش عبد الخالق، دار الرافد، بيروت، ١٩٨٥م.
- ٤- المدخل لرعاية الطفولة، عبد السلام الدويهي، المنشأة العامة للنشر، طرابلس، ١٩٨٠م.

ابحاث ودراسات:

- ١- آخر ما اكتشفه البحث الامريكي الشمالي حول تنشئة الطفل اجتماعيا، ادريان أي مارييس، تر، صالح البكاري.
- ٢- مكونات العملية التربوية في المجتمع الليبي، رشاش عبد الخالق، بحث مقدم إلى المؤتمر المبنى التربوي الثاني، بنغازي ١٩٨٩م.
- ٣- دور المدرسة المتجددة في المجتمع الجماهيري، رشاش عبد الخالق، بحث مقدم إلى المؤتمر الثوري الأول حول التعليم في المجتمع الجماهيري، بنغازي ١٩٨٩م.
- ٤- الخدمات الاجتماعية في مدينة سبها، مشروع لإنشاء رياض الاطفال، بحث مقدم إلى المؤتمر التاسع للمدن العربية مراكش المغرب، ١٩٩٠م، رشاش عبد الخالق ومعتوق المتفاني.